

فَفِي ذَاكَ الْيَوْمِ سَتُكْشَفُ أَسْرَارُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَسَتَظْهَرُ جَمِيعُ النَّوَايَا وَالْأَفْعَالِ الْحَسَنَةُ وَالسَّيِّئَةُ، وَسَيُخَاطَبُ الْجَمِيعُ بِالنِّدَاءِ الْإِلَهِيِّ:

"اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا"³

فِي ذَاكَ الْيَوْمِ تَضُمُّتُ الْأَلْسِنَةُ وَتَتَكَلَّمُ الْأَطْرَافُ. وَقَدْ أَخْبَرَنَا رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا بِذَلِكَ بِقَوْلِهِ: "الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَقْوَامِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ."⁴

وَفِي ذَاكَ الْيَوْمِ لَنْ يُظْلَمَ أَحَدٌ، وَسَتُوقَىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ. فَلَنْ تَزُولَ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ حَمْسٍ مِنْ عَمْرِهِ فِيمَا أَفْتَاهُ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ.⁵

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَقَابِلُ!

إِنَّ مَا يَلِيْقُ بِالْمُؤْمِنِ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ تَعَالَىٰ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ الْمَوْتُ. وَأَنْ يَنْظُرَ لِلْحَيَاةِ عَلَىٰ أَنَّهَا دَارٌ لِنَيْلِ رِضَا اللَّهِ تَعَالَىٰ وَلَيْسَ دَارٌ لِلْهَوَىٰ وَاللَّعِبِ. وَأَلَّا يَحِيدَ عَنْ حَظِّ الْإِسْلَامِ الْمُسْتَقِيمِ؛ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ. وَأَنْ يَلْتَزِمَ بِدَقَّةٍ بِحُدُودِ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَأَنْ يَمْتَثِلَ وَيُرَاعِيَ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ. وَأَنْ يَتَجَنَّبَ وَيَبْتَئِدَ عَنِ الْمُمَيُولَاتِ وَالتَّصَرُّفَاتِ الَّتِي تُحِلُّ بِالْفِطْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَعَنِ الْكُحُولِيَّاتِ وَالْإِذْمَانِ الَّذِي يُذْهِبُ الْعَقْلَ، وَعَنِ الرِّثَا وَسُوءِ الْخُلُقِ الَّذِي يُفْسِدُ الْأُسْرَةَ وَالْمُجْتَمَعَ، وَعَنِ الْفِجَارِ الَّذِي يَهْدِمُ الْمَنَارِلَ وَيُشَوِّتُ الْعَائِلَاتِ. وَأَلَّا يَنْسَىٰ أَنَّهُ يَتِمُّ تَسْجِيلُ كُلِّ فِعْلٍ وَعَمَلٍ وَأَنَّهُ عِنْدَمَا يَأْتِي ذَاكَ الْيَوْمَ سَيُسْأَلُ وَسَيُحَاسَبُ عَنْ جَمِيعِ تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَالْأَفْعَالِ. وَأَخْتِمُ خُطْبَتِي بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ:

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَانٌّ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا..."

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَانٌّ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا...
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا أَوْلِيكَ الْأَكْيَاسُ.

التَّوَعُّبِيَّةُ بِالْآخِرَةِ وَيَوْمَ الْحِسَابِ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكَرَامُ!

رَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟" قَالَ: "أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا"، قَالَ: "فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْبَسُ؟" قَالَ: "أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا، وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا، أَوْلِيكَ الْأَكْيَاسُ."¹

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعْرَاءُ!

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ وَهَبَ لِلنَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ حَيَاتَيْنِ. أَوْلَاهُمَا دَارُ الْإِمْتِحَانِ وَالِاخْتِبَارِ هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا الَّتِي نَعِيشُ فِيهَا. وَتَنْتَهِي هَذِهِ الْحَيَاةُ بِالْمَوْتِ لِتَبْدَأَ بَعْدَهَا الْآخِرَةُ. فَالْمَوْتُ لَيْسَ النِّهَايَةُ وَلَكِنَّهُ بَابُ الْعُبُورِ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ. وَالْمَوْتُ هُوَ الْمَمَرُ الَّذِي لَا رَجْعَةَ فِيهِ أَبَدًا. فَهَمَّا كَانَتْ رَغْبَةُ الْإِنْسَانِ فِي الْعُودَةِ إِلَى الدُّنْيَا وَالْقِيَامِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَلَنْ يَكُونَ هَذَا مُمَكِّنًا. حَيْثُ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: "حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ. لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا..."²

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَقَابِلُ!

إِنَّ السَّاعَةَ لَا شَكَّ قَائِمَةٌ، وَإِنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا الَّتِي نَعِيشُ فِيهَا سَتَنْتَهِي، وَسَتَبْدَأُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ حَيَاةَ الْآخِرَةِ. وَيَقْدِرُهُ اللَّهُ وَإِرَادَتِهِ سَيُبْعَثُ النَّاسُ مِنْ جَدِيدٍ، وَسَيُجْمَعُونَ فِي أَرْضِ الْمَحْشَرِ وَسَتُوضَعُ الْمَوَازِينُ الْقِسْطُ. ذَاكَ الْيَوْمَ هُوَ يَوْمَ الْحِسَابِ.

¹ سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ، كِتَابُ الرُّهُدِ، 31.

² سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ، 99/23.

³ سُورَةُ الْإِسْرَاءِ، 14/17.

⁴ سُورَةُ يَسَ، 65/36.

⁵ جَامِعُ التِّرْمِذِيِّ، كِتَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ، 1.